القراءة، إحداهما تُغلِّب المعنى وتقدمه، والأخرى تُغلِّب النص وتُعْليه. وليس النص سوى اللفظ متنامياً في نظم متوخى ليس في متابعة المعنى المقرر في النفس، ولكن لإنتاج المعنى وإفرازه ـ كما سنقول لاحقاً ـ. وكما نفهم من مقولة الجرجاني في (إيجاد الائتلاف في المختلفات)، وهذا الإيجاد يتم في التعمل والتأمل في النص الماثل، وليس في الهجس بالمعاني وترتيبها ثم إلحاق الألفاظ بها، بحكم أنها خدم لتلك المعاني.

وليس الأمر في تناقض مقولتين منعزلتين للجرجاني فحسب، ولكنه أيضاً يحدث داخل المقولة الثانية ذاتها، وذلك حينما أنهى الجرجاني قوله بالجملة التالية: (وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق). وقوله هنا (العلم بمواقع) ثم تكرار ذلك بقوله (علم بمواقع) يعني أن الكلام هنا موجه لقارىء النص وليس لمنشئه ـ كما بدا لنا في الجمل السابقة على هذه الجملة. لأنه لو كان يقصد المنشيء لقال (إن الشعور بمواقع المعاني... شعور بمواقع الألفاظ). والفرق هنا بيِّن، لأن العلم بأمر ما يتضمن إمكان الجهل به، والمرء لا يجهل ما يختلج في نفسه كما أنه لا ينفصل عنه. والحس بالمعاني في النفس هو ما يسمى اليوم باللغة الداخلية[12]. ولذا فإن الجملة حتماً تتوجه للقاريء مستقبل النص، وليس للمنشيء صانع النص. ولو قصد الأخير بها للزم استخدام كلمة الشعور أو مترادفاتها.

ومن هنا ندرك أن مشروع الجرجاني في نظرية البيان لم يتحقق

(12) عبد الصبور شاهين: **في علم اللغة العام** 96 (مؤسسة الرسالة. بيروت 1984).